وكان الاستفسار الاخير حول العنصرية التي يمارسها قسم كبير من الفرنسيين تجاه العرب (والجزائريين منهم بشكل خاص) ومدى تأثيرها على الموقف المتعاطف مع اسرائيل (حتى من قبل المجموعات اللاسامية التي ترى في تجمع اليهود في مكان آخر تحقيقا لامانيها) . وجاء رد سارتر تحليلا لمشكلة العنصرية التي تشكل احدى آفات المجتمع الفرنسي الحالي واحدى القضايا التي يركز عليها اليسار الفرنسي في نضاله ضد الرأسمالية . فقال « هناك سببان لتصاعد العنصرية ضد العرب في فرنسا ، هناك أولا الحرب التي خسروها في الجزائر ، وبعض الفرنسيين ليسوا على استعداد لنسيانها . وهذا ما يفسر منطقهم : طالما اننا انهزمنا على أيدي العرب ، فاذا هزم الاسرائيليون العرب فنحن المنتصرون . وهناك ثانيا سياسة الحكم في التهجير التي تجلب الى فرنسا عددا من المهاجرين (من شمال افريقيا بشكل خاص) أكثر مما تستطيع اسكانه وتوفير الطعام له بشكل معقول . فيتكدس معظم المهاجرين في مناطق سكنية غير صحية (وهي مدن التنك bidonville) على مقربة من المناطق التي يعيش فيها عدد من الجنود القدماء والمستوطنين العائدين من الجزائر (pieds noirs) او المتعاطفين معهم ، مما يخلق جوا كريها من الصدمات المستمرة » .

ويضيف سارتر بأن « جذور هذا العداء تعود كذلك الى الفكر الاستعماري الذي يكرس تميز عنصر على آخر كمبرر للعملية الاستعمارية » ولهذا يرى « بأن الحل لن يكون الا سياسيا » أي بالقضاء على جذور العنصرية .

وأعرب عن اتفاقه مع اعتبار العنصرية ضد العرب مادة أحسن استغلالها دعاة الصهيونية . رغم ان العنصرية ضد اليهود كانت وما زالت موجودة (ويروي سارتر حادثة الفرنسي اليهودي الذي هنأه احدهم بانتصار « بلده » بعد حرب الايام الستة ، علما بأن بلده فرنسا وليست اسرائيل) . فهناك الكثيرون يعتبرون اليهود كأجانب جاؤوا الى أوروبا وهم في الواقع ينتمون الى بلد آخر . لكن العنصرية ضد العرب ، أكثر انتشارا من العنصرية ضد اليهود ، ذلك ان هؤلاء قلما يعيشون في الاحياء الشعبية ويعملون في المصانع ، مما يجعل اتصالهم أقل بالاوساط الواسعة . وهذا ما سهل مهمة أنصار اسرائيل .

وأعاد سارتر في الختام التأكيد على تعاطفه مع الفلسطينيين وأمله بحل عادل للمشكلة .

أين يقف اذا جان بول سارتر ؟

مرة اخرى ، علينا ان نتفادى الاحكام الاجمالية والاحادية الجانب . فالرؤية التبسيطية التي تقسم الاشياء الى أبيض وأسود والمواقف الى مؤيد ومعاد هي في النهاية رؤية مضللة ومناقضة للمنهج العلمي في التحليل . فسارتر ليس مناضلا في صفوف الثورة الفلسطينية ولا جنديا من جنود الحركة الصهيونية . موقفه نابع ، كما ذكرنا ، من منطلقه العام وذاتيته (التي هي ، على حد تعبيره ، ذات جذور تاريخية وموضوعية) . من هنا ، يمكننا أن نخرج بالاستنتاجات التالية :

١ ــ ان سارتر ليس مؤيدا للصهيونية بمفهومها الايديولوجي المتعارف عليه . في بعض تصريحاته الاخيرة ، اشار الى ضرورة التخلي عنها ، لمصلحة اليهود انفسهم ، لانها اصبحت الان تلعب دورا رجعيا وفي بعض الدول تحمل بذور عودة اللاسامية (مجلة نيو اوتلوك الاسرائيلية ــ آذار ١٩٦٩) . وهو في الوقت نفسه ليس معاديا لها بشكل مبدئي ، ويعتبر انها في ميادين محددة وفي ظروف معينة لعبت دورا ايجابيا بالنسبة لليهود (نفس المصدر) . بالنسبة لاسرائيل ، موقفه الآن نقدي أكثر من أي وقت مضى ، الا انه يرى امكانيات تطور ذاتي من الداخل ، وهنا تكمن نقطة الخلاف الرئيسية بين رؤياه ومنطلقات المقاومة الفلسطينية بكافة فصائلها ، التي لا ترى في التناقضات الداخلية